"ذكر ملوك اليونانيين"
فى كتابات المسعودى*

د. السيد جاد(*)

يُعَدّ المسعودى أحد أشهر أئمة المؤرخين العرب في القرن الرابع الهجرىّ/العاشر الميلادىّ, الذى بلغت فيه الحضارة العباسية أوج ازدهارها.[1] ففى ذلك الوقت وصلت حركة الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الشرقية والغربية إلى ذروتها,[2] وكان من نتيجتها, كما هو معروف, أن حافظ العرب على التراث الحضارىّ العالمىّ, وساهموا بدورهم, من ناحية أخرى, فى تطوير المعارف والعلوم الشرقية والغربية المعروفة آنذاك.[3] وقد تميز المسعودى بمنهج جديد في كتاباته جمع فيه بين الجغرافيا والتاريخ واتبع فيه المنهج الموضوعىّ بالإضافة إلى المنهج الحولىّ, إلى جانب ما تميزت به كتاباته من طابع عالمىّ وموسوعىّ.[4] وكان الرجل بذلك مجدداً فى ميدانه وصاحب بصمة واضحة فى مجال الكتابة التاريخية, شهد له بها المؤرخون القدماء أنفسهم, وأقرّها بعض الدارسين الغربيين فى العصور الحديثة عندما لقبوه "هيرودوت العرب."[5] وتهتم هذه المقالة بدراسة ما أورده المسعودى عن تاريخ اليونان القديم, خاصة وأنه اعتمد فيها على بعض المصادر اليونانية القديمة. وفى الوقت ذاته فإنها تهدف إلى توضيح مدى اهتمام العرب بالتعرف على التاريخ القديم لبعض الشعوب والحضارات التى تعرفوا بها على نطاق واسع بعد الفتوحات الإسلامية, وإلى وضع أساس للمقارنة بين حدود اهتمامهم بالتاريخ, على وجه التحديد, وبين مدى اهتمامهم ببعض المعارف والعلوم الأخرى التى وجدوها عند اليونانيين.

---

* تشكل هذه المقالة نسخة مختصرة ومعدلة من دراسة سابقة قمت بها بعنوان "تاريخ اليونان القديم كما أورده المسعودى". ويسرنى هنا أن أشكر القائمين على سيمنار التاريخ الإسلامىّ والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية للسماح لى بالمشاركة فيه بهذا الموضوع. لقد أفدت كثيراً من الملاحظات الدقيقة للمشاركين فى المناقشة التى أعقبت المحاضرة.

(*) كلية الآداب – جامعة طنطا .

obeikan.com

- مقدمة:

أشار المسعودى في العديد من كتاباته إلى تاريخ وحضارة اليونان, إلا أنه لم يصل إلينا من مؤلفاته كاملاً سوى كتابيه "مروج الذهب ومعادن الجوهر," و "التنبيه والإشراف,"(٦) اللذين وصفا بأنهما "من روائع الكتابات التاريخية العربية."(٧) ووردت إشاراته إلى هذا الموضوع فى الكتاب الأول, كما يوضح فى مقدمته, فى ثلاثة أبواب يحمل أولها عنوان: "ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم وما قال الناس فى بَدء أنسابهم," وثانيها: "ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند," وثالثها: "ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر."(٨) أما فى كتاب "التنبيه والإشراف," الذى يمثل فى حقيقة الأمر مختصراً لبعض أعماله السابقة, فقد كان الحديث عن هذا الموضوع تحت عنوان "ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين."(٩) إلا أن المسعودى, على الرغم من صغر المساحة التى خصصها لموضوعه فى "التنبيه والإشراف," ضمّنها إشارة مطولة إلى كتاب سابق له لم يصل إلينا, هو كتاب "فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف," موضحاً أنه تحدث هنالك عن أخبار اليونانيين وعن فلاسفتهم وعن بعض الموضوعات الفلسفية, وعن سبل انتقال المعارف والعلوم اليونانية إلى العرب.(١٠) ولأن هذين الكتابين يمثلان آخر ما كتب هذا المؤرخ وأكمل ما وصل إلينا من أعماله,(١١) فإن ما ورد بهما من معلومات تاريخية عن اليونانيين يمثل, حتى الآن, جلّ ما توصل إليه الرجل فى دراساته وأبحاثه عن هذا الموضوع.

ويتضح من كتاب "التنبيه والإشراف," بشكل خاص, السبب وراء اهتمام المسعودى بالحديث عن اليونانيين. ففى هذا الكتاب المختصر تحدث عن الفرس وعن اليونانيين والروم وعلاقتهم بالدولة الإسلامية, ولم يتطرق إلى الحديث عن بلاد الهند والصين وغيرها من الممالك الشرقية, كما فعل فى مروج الذهب ومعادن الجوهر.(١٢) وباستطاعتنا, فيما يتعلق بالهدف من وراء هذه المقالة, أن نميز فيه ثلاث نقاط أساسية تتمثل فى: أصل اليونانيين وتسميتهم وموقعهم الجغرافى, ثم الإسكندر الأكبر ووالده فيليب, ثم ملوك البطالمة.

- أصل اليونانيين وتسميتهم وموقعهم الجغرافيّ:

فصّل المسعودى الحديث عن أصل اليونانيين فى "مروج الذهب ومعادن الجوهر," بينما اكتفى فى "التنبيه والإشراف" بإشارة موجزة مع توضيح أنه تحدث عنهم بالتفصيل فى كتاب سابق له.(١٣) وباستثناء ما يوجد فى "التنبيه والإشراف" من تفاوت فى الآراء بشأن "يونان" الذى ينتسب إليه اليونانيون, وأنه من ولد "يافث بن نوح," كما يقول البعض, أو أنه أحد الأحفاد البعيدين لـــ: "سام بن نوح" كما يقول البعض الآخر, فإن بقية الحديث هنا تجعل من معالجة "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الأساس لمناقشة أصل اليونانيين وموقعهم الجغرافيّ. وقد بدأ المسعودى مناقشته للعلاقة بين اليونانيين وبين الروم, مبيناً أن هناك من المؤرخين من يرى أنهم ينتسبون إلى حيث تنسب الروم. ويتسم نقده لهذه الفكرة بالقوة فى مواجهة ما يبدو وكأنه فكرة سائدة فى وقته بين المؤرخين تجمع اليونانيين والرومان فى سلة واحدة. ويمكن تفسير هذه الفكرة, بطبيعة الحال, فى ضوء أن الإمبراطورية البيزنطية, التى كانت متاخمة لحدود العالم الإسلامىّ الغربية فى ذلك الوقت, كانت إمبراطورية رومانية فى الأساس, وإن غلبت عليها الهوية الثقافية اليونانية. إن المسعودى ينفى بوضوح وفى أكثر من موضع أن تكون الأمّتان مشتركتين فى الأصل, على الرغم من إدراكه لأوجه التشابه بينهما فى الحضارة والثقافة, وللعلاقات القوية التى ربطت بينهما عبر التاريخ.(١٤)

ويوضح حديث المسعودى عن نسب اليونانيين إلى أبناء نوح (عليه السلام) عن تأثره بفكرة التوراة عن الأنساب التى تقول بأن سكان العالم ينحدرون من صلب أبنائه الثلاثة سام, ويافث, وحام؛ مثلما يتبين منه أيضاً تفاوت الدارسين العرب بشأن نسبتهم إلى يافث أو إلى سام. كذلك فإنه يغلب على الحديث هنا طابع الرواية والتقرير؛ إذ إنه يكتفى بالإشارة إلى الآراء التى تجعل من "يونان" ابناً ليافث وتلك التى تجعله أحد أحفاده البعيدين. كما أنه يشير أيضاً إلى الآراء التى تجعله أخاً لقحطان, ويبين أن سبب انفصاله عن دار أخيه كان سببه "الشك فى الشركة فى النسب." وتلك التى ترفض مثل هذه الأخوّة, مثلما يلحظ أن النسابين فى شبه الجزيرة

العربية لا يعرفون شيئاً عن يونان ولا عن أحفاده الذين أصبحوا مختلفين عن سكان الجزيرة اختلافاً بيّناً.(١٥)

وفيما يتعلق بموطن اليونانيين وموقعهم الجغرافىّ فإن مؤرخنا واضح تمام الوضوح عندما يذكر أن بلادهم تقع إلى الغرب من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام, وأن عاصمتهم وأهم مدنهم هى أثينا, مدينة "الحكماء فى ديار المغرب فى صدر الزمان," وإن لاحظ أيضاً فى الوقت ذاته, فى معرض حديثه عن هجرة يونان, أن موطنهم يقع فى "أقاصى بلاد المغرب." ومن مكانهم هذا استطاعوا أن يسيطروا فى الأجيال التالية ليونان وبعد وفاة ابنه حربيوس [هكذا!] على "ديار المغرب من بلاد الإفرنجة والنوكبرد [اللمبارديين] وأجناس الأمم من الصقالبة وغيرهم."(١٦) وهناك أيضاً ما يدل على أن معرفة مؤرخنا بجغرافية بلاد اليونان ذاتها كانت محدودة, ويتضح ذلك من إشارته إلى مقدونيا, التى تقع فى شمال بلاد اليونان, والتى يذكر أنها مصر,(١٧) مثلما يتضح من إشارة له سابقة إلى البحار الواقعة إلى الشرق من بلاد اليونان.(١٨)

- الإسكندر الأكبر ووالده فيليب:

يُعدّ الإسكندر أول ملوك اليونانيين الذين تحدث عنهم المسعودى بشكل مفصل, على الرغم من أنه يلحظ أنه ليس أول ملوكهم. ويتميز حديثه عنه بتنوعه وتشعب موضوعاته, وبالقدر الذى يجعلنا نضيف إلى مقولة جواد على التى يذكر فيها أن "أقدم من سُجل اسمه من اليونان فى سجل العلاقات العربية اليونانية هو الإسكندر الأكبر,"(١٩) أنه كان أيضاً الملك اليونانىّ الوحيد الذى خصص له المؤرخون العرب فصولاً كاملة فى مؤلفاتهم. كذلك فإنه يشتمل على إشارة إلى والد الإسكندر, وإلى فتوحات هذا القائد فى فارس والهند, وإلى وفاته, وما كان من أمره مع حكماء الهند وعلمائها.

ويوضح مؤرخنا أن "أول من يعدّ من ملوك اليونانيين فى التاريخ المقدم للحنفاء والقوانين والزيجات فى النجوم وغيرها فيلبس أبو الإسكندر" وأنه "كان لليونانيين قبله ملوك سلفوا يُتنازع فى أعدادهم وسماتهم ومدة ما ملكوا من

السنين."[٢٠] وبينما تَرِدُ هذه الملاحظة فى كتابه المختصر, فإنه يوضح فى كتابه الآخر, والأسبق من حيث التأليف, المصدر الذى استقى منه بعض هذه المعلومات, حيث يقول: "وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس فى كتابه فيلبس." ويضيف المسعودى ما لديه من معلومات عن والد الإسكندر تعرفنا بالدلالة الأرستقراطية لاسمه, حيث يبين أنه يعنى "محب الفرس,"[٢١] وأن هناك روايات مختلفة بشأن الكيفية التى يُكتب أو يُنطق بها, ويضيف قائلاً: "وقيل إن اسمه يابس, وقيل فيلقوس."[٢٢] ويتضح من مطالعة القراءة الأخرى البديلة لاسم "يابس", والموجودة فى أحد المخطوطات على أنه "ملبص,"[٢٣] ومن مقارنة هذه الصيغ, أن "فيلبس ويابس (ملبص) و فيلقوس" لا تعدو كونها مجرد صيغ مختلفة لاسم الرجل اليونانىّ, فيليبّوس (Philippos), وأن هذا الاسم تعرض لدرجات متفاوتة من التحريف والتبديل على يد الكتبة والنسّاخين الذين تعوزهم الدقة فى النقل والكتابة, والذين لا يعرفون اللغة التى نقل عنها هذا الاسم وغيره الكثير من الأسماء الغريبة عليهم. ولهذا فباستطاعتنا أن نفترض أن الصيغ التى عرّبت لهذا الاسم فى كتابات المؤرخين العرب فى تلك الآونة كانت فى الأصل هى: "فيلبس, وفلبس, وفيلبوس," على أساس أن الحروف اللينة القصيرة فى اللغة اليونانية تكتب فى اللغة العربية فى شكل علامات تشكيل, وأن العربية تقتصر فقط على كتابة الحروف اللينة الممدودة.[٢٤]

أما مصدر المسعودى فى معلوماته هذه فهو "بطليموس" الذى يشير إليه أيضاً على أنه "ابطلميوس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وغيره من الكتب."[٢٥] ويتضح من ذلك أنه استقر فى نهاية الأمرَ على مناداته "ابطلميوس". نظراً لأن هذه الصيغة وردت فى كتابه الأخير, مثلما يتبين أيضاً أنه اقترب بعض الشئ من النطق الصحيح لاسم هذا العالم والجغرافىّ الذى ينطق فى لغته اليونانية "بطوليمايوس" Ptolemaios.[٢٦] وتُعدّ مؤلفات بطلميوس[٢٧] من أهم المصادر اليونانية القديمة التى اعتمد عليها مؤرخنا, كما يتضح من إشاراته العديدة إليه فى كتابه الأخير وحده.[٢٨] كذلك فإنه استعان أيضاً ببعض الكتابات الأخرى لأحد علماء الإسكندرية فى القرن الرابع الميلادى, وهو ثيون السكندرى, الذى يسميه ثاون الاسكندرانى,[٢٩] والذى

اقتبس منه عند تحديده للموقع الجغرافى لمدينة الإسكندرية فى مصر, وأشار إلى قانونه فى موضع آخر, موضحاً أنه يشتمل على بعض المعلومات التاريخية عن عدد ملوك اليونانيين وجملة ما ملكوا من السنين.(٣٠) ويوضح المسعودى الفارق بين الأعمال التاريخية لهذين الباحثين فى معرض حديثه عن الفرس, حيث يقول: "وأرّخ بطلميوس صاحب كتاب المجسطىّ تاريخ كتابه من عهد بخت نصّر مرزبان المغرب, وأرّخ ثاون صاحب كتاب القانون فى النجوم من مملكة الإسكندر بن فيلبس المقدونى."(٣١) مع ذلك, وعلى الرغم من أهمية الأسماء اليونانية التى يشير إليها مؤرخنا, وأهمية الأعمال التى كتبوها, فإن هذا الأمر, كما سنرى, لا يعنى بالضرورة أن نقبل ما أورده على أنه يسجل بدقة دائماً ما ورد بهذه الأعمال أو على أنه يعطى صورة صحيحة لتاريخ اليونانيين بشكل عام.

إن ملاحظة المسعودى أن فيليب هو أول الملوك اليونانيين هى ملاحظة دقيقة نوعاً, ما من حيث إنها تبين أنه أول الملوك اليونانيين المقدونيين المهمّين الذين نالوا شهرة كبيرة فى تاريخ اليونان القديم. لقد استطاع الرجل أن يوحد بلاده وأن يفرض على دويلات المدن اليونانية وحدة سياسية فيدرالية جعلتها لأول مرة فى تاريخها تخضع لسلطة مركزية واحدة, على الأقل فيما يتعلق بسياستها الخارجية.(٣٢) ومع ذلك فإن الإشارة إلى أن "مدة ملكه سبع سنين" وأنه "ملك سبع سنين" إشارة جانبها الصواب؛(٣٣) إذ إن فيليب الثانى حكم مقدونيا من عام ٣٥٩ ق.م حتى صيف عام ٣٣٦ ق.م, وقضى بذلك فى الحكم ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً.(٣٤) ونستطيع أن نؤكد هنا على أن الخطأ فى تحديد عدد السنين لا يرجع بطبيعة الحال إلى بطلميوس كلاوديوس أو إلى ثيون السكندرى, ونظراً لأنه لا سبيل إلى قراءة الترجمات التى اعتمد عليها المسعودى فى هذه الحالة, فلا سبيل أيضاً إلى أن نعزو إليه هذا الخطأ. وينطبق هذا الأمر أيضاً, كما سنرى, على سنوات الحكم التى يذكرها أمام الإسكندر وأمام الحكام اليونانيين التالين لهما.

وبالمقارنة بهذه الإشارة الموجزة عن فيليب فإن الحديث عن الإسكندر مفصل إلى حدٍ كبير, ويرجع السبب فى ذلك إلى فتوحات هذا القائد التى بدأت بها مرحلة

جديدة فى تاريخ العالم القديم. ففى أثناء هذه الفتوحات سار الإسكندر بقواته على حدود بلاد العرب الشمالية فى فلسطين والشام والعراق, وكانت له جولاته مع بعض القبائل العربية المقيمة فى تلك المناطق. ونظراً لأنه قضى فى أثنائها على الإمبراطورية الفارسية التى كانت أعظم الإمبراطوريات الموجودة فى منطقة الشرق الأدنى القديم, فقد دانت له بذلك كافة المناطق التى كانت تابعة لها, مثلما أنه وصل فى فتوحاته إلى الهند. وبطبيعة الحال فقد كان لدى الفرس والهنود ما يروونه عن هذا القائد الذى تحول بمرور الوقت إلى شخصية أسطورية حتى بين أبناء جلدته أنفسهم.[٣٥] ويتبين من طبيعة المعلومات التى يوردها المسعودى هنا عن الإسكندر, وبخاصة من تركيزه على أعماله فى الهند وطرائفه مع حكمائها, أن مصادرها شرقية أكثر منها غربية, وأنها كانت فارسية وهندية أكثر منها يونانية.[٣٦]

كذلك فإن حديث مؤرخنا عن أصل الإسكندر يعكس أيضاً اهتمام المؤرخين العرب بالأنساب, وتفاوتهم بشأن انتمائه إلى يافث أو إلى سام ابنى نوح عليه السلام, أكثر مما يوضحه عن كونه مقدونىّ الأصل, وأنه أتى من شمال بلاد اليونان, ويفتقر تماماً مثل حديثه عن أصل اليونانيين إلى الدقة. وكما هو واضح, فإن تفاوت النسابين بشأن أصله لم يقتصر على أجداده الأوائل, بل إنهم تفاوتوا أيضاً بشأن والده, ووصل الأمر ببعضهم إلى جعله من ولد قحطان, ومن سلالة التبابعة حكام حمير.[٣٧] واتسع التفاوت كذلك ليشمل مسألة كونه ذا القرنين الذى أشار إليه القرآن الكريم, وليشمل السبب فى إطلاق هذا اللقب عليه. وبعد أن يشير المسعودى إلى "تنازع الناس" بشأن المسألة الأولى, فإنه ينتقل بعدها إلى الإشارة إلى أقوال بعض الصحابة فى تفسير لقب "ذو القرنين," ويكتفى هنا بعرض الآراء التى قيلت عن نسبه, وعن كونه ذا القرنين, وعن السبب وراء هذا اللقب, دون أن يبدى رأيه فى أىّ منها.[٣٨]

ويشير المسعودى إلى الحروب التى دارت بين الإسكندر وبين الفرس, والتى يرجع سببها إلى رفضه التبعية لهم.[٣٩] وتشتمل الإشارة هنا على العديد من النقاط التى يمكننا من خلالها إدراك حدود المام المسعودى بموضوعه. فالحروب الفارسية التى يشير إليها والتى وصل فيها الفرس إلى بلاد اليونان حدثت فى جولتين فى أوائل

القرن الخامس قبل الميلاد. كانت أولاهما عام ٤٩٠ق.م. وأخراهما عام ٤٨٠ق.م. وانتهت بعودتهم دون أن يتمكنوا من احتلال بلاد اليونان الأصلية.[٤٠] وكان ملك الفرس فى الجولة الأولى هو دارا الأول. بينما كانت الجولة الأخيرة تحت قيادة ابنه خشيارشاى. الذى عرفه اليونانيون باسم اكزركسيس (Xerxes). وكما هو واضح فقد خلط المسعودى بين الملوك البابليين وبين الملوك الفرس عندما جعل قائد الحملة الفارسية على بلاد اليونان هو بختنصّر.[٤١] حقيقة إن نفوذ الفرس استمر قائماً بدرجات متفاوتة من القوة فى منطقة غرب آسيا الصغرى التى كانت توجد بها عندئذ بعض دويلات المدن اليونانية. ولكن "الخراج" الذى يشير إليه المسعودى ربما يمكن فهمه بدلالة رمزية وبشكل أدق على أنه يشير إلى هذا النفوذ. بالإضافة إلى ذلك فإن حملات الإسكندر. التى بدأت عام ٣٣٤ ق.م. أعقبت الحروب الفارسية بحوالى قرن ونصف من الزمان.[٤٢] ولهذا فباستطاعتنا أن نلحظ أن دافع الثأر من الفرس. أو رفض الإسكندر التبعية لهم (وبشكل أدق: تبعية بعض دويلات المدن اليونانية الموجودة فى آسيا الصغرى لهم). لم يكن السبب المباشر. أو على الأقل ليس السبب الوحيد. وراء الجولة الجديدة من الحروب.[٤٣]

لقد انتهت حملات الإسكندر بالقضاء على الإمبراطورية الفارسية. وببسط نفوذه على غالبية أرجاء المناطق التابعة لها. ويميز المسعودى هنا بين حكام الشام والعراق الذين أخضعهم الإسكندر وبين دارا بن دارا ملك الفرس والذى يذكر أن مقتله كان على يد هذا القائد. ولا نملك هنا سوى أن نتساءل عن مدى دقة مؤرخنا فى روايته لخبر مقتل دارا. وعما إذا كان يريد منا أن نركز بدرجة أكبر على دلالته الرمزية. إننا نعرف من بعض المصادر الأخرى المعاصرة للأحداث أن الإسكندر برئ من دم دارا الذى قتل على يد بعض أتباعه بعد هزيمته فى العديد من المواقع وبعد فشله فى الدفاع عن عاصمته واضطراره إلى التقهقر عدة مرات.[٤٤] حقيقة إن المسعودى يقدم لهذا الخبر بكلمته المعتادة. "وقد قيل." ولكنه لم يحدد مصادره فى هذا الموضع. مثلما أنه لم يذكر بعض الروايات الأخرى. والأكثر دقة. لهذه الحادثة والتى كانت أيضاً معروفة لبعض المؤرخين العرب الآخرين.[٤٥]

obeikan.com

ويوجز المسعودى الحديث بعد ذلك عن أعمال الإسكندر فى فارس بعد مقتل دارا، قائلاً إنه: "تزوج بابنة ملكها بعد أن قتله." وإنه "رتب الرجال والقواد فيما افتتح من ممالك، وأنه كوّرَ بخراسان كوراً، وبنى مدناً فى سائر أسفاره."[٤٦] ويعرفنا باسم هذه الأميرة وأنها "روشنك بنت دارا بن دارا ملك فارس" عندما أشار إلى كلمتها فى معرض حديثه عن تأبين الحكماء له بعد وفاته وأمام جثمانه، والتى قالت فيها: "ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك يُغلب."[٤٧] ويستخدم المسعودى هنا فى تسمية الولايات أو الأقاليم فى خراسان وغيرها من المناطق المفتوحة الاسم الذى كان شائعاً فى وقته، وهو كوراً (جمع كلمة كُورَه)، وهو اسم يرجع فى صيغة المفرد إلى الكلمة اليونانية خوره (χώρα) التى تعنى مكان أو أرض أو إقليم. ويلحظ مؤرخنا كذلك ظاهرة عُرفت عن الإسكندر وهى تأسيسه للمدن وتوطينه لبعض الجنود فيها، وإن كان لا يذكر أن هذه المدن كانت تحمل اسمه فى البداية؛ لأن العديد منها كانت قد تغيرت أسماؤها عبر القرون التى أعقبت وفاة هذا القائد.[٤٨]

ويتطرق حديث المسعودى بإيجاز إلى ما كان من حروب الإسكندر فى الشرق.[٤٩] وباستثناء بعض المبالغة الواردة فى هذا الحديث وبخاصة فى تصويره لمسيرة فتوحات الإسكندر ووصوله إلى الصين والتبت، وأنه غير دقيق فى تحديده لاتجاه فتوحاته، فإنه يوضح أن نفوذه كان قوياً فى المناطق التى فتحها والتى خضع له ملوكها، بل إن النفوذ اليونانىّ استمر فيها لعدة قرون بعد وفاته.[٥٠] كذلك فإن الإشارة إلى ما كان من صراعه مع الملك الهندىّ فور، الذى عرفه اليونانيون باسم بوروس (Poros)، تشير إلى واحدة من أقسى المواجهات التى شهدها هذا القائد فى الهند، ولكنها تتصف بعدم الدقة فى تصويرها لنهاية الملك الهندىّ الذى يكرر المسعودى فى موضع آخر أنه قُتل على يده.[٥١]

ومن الأمور التى يتوقف عندها المسعودى بشئ من التفصيل وفاة الإسكندر وما حدث فى مراسم دفنه. إنه يذكر أن وفاته حدثت بعد عودته من الهند، وأن الآراء تتفاوت بشأن المكان الذى قضى فيه، قائلاً: "فلما صار إلى مدينة شهرزور اشتدت عليه علته، وقيل: ببلاد نصيبين من ديار ربيعة، وقيل: بالعراق، فعهد إلى صاحب

جيشه وخليفته على عسكره بطليموس."[٥٢] وهنا أيضاً فإن المصادر اليونانية تزودنا بمعلومات أدق عندما تشير إلى أنه مرض بالحمى فى بابل لعدة أيام, ثم قضى بعدها فى العاشر من يونيو عام ٣٢٣ق.م.[٥٣] كما أن بطلميوس الذى يشير إليه كان مجرد واحد من هؤلاء القادة, وكان هناك وقتئذ من القادة الآخرين من يفوقه منزلة ومكانة.[٥٤] ولعل السبب الذى جعل المسعودى يذكره على وجه التحديد هو أن ترتيبه, كما سنرى, يلى الإسكندر فى قائمة الملوك اليونانيين الذين يشير إليهم.

وبعد أن مات الإسكندر وُضِعَ "فى تابوت من الذهب مرصع بالجوهر, بعد أن طُلِى جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه," وطافت به الحكماء "ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند, وغيرهم من علماء الأمم, وكان يجمعهم, ويستريح إلى كلامهم, ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم."[٥٥] وقام كل من هؤلاء الحكماء بناء على طلب من "كبيرهم والمقدم فيهم" وتكلم بكلام يهدف إلى "تعزية الخاصة ووعظ العامة". وقد سجل المسعودى أقوال هؤلاء الحكماء الذين اشتملوا على "صاحب خزانة كتب الحكمة," و "صاحب مائدته," و "صاحب بيت ماله," و "خازن من خُزّانه," والذين بلغ مجموعهم ثمانية وعشرين, ثم أضاف إليها ما قالته زوجته ابنة دارا, وما قالته والدته حينما جاءها نعيه: "لئن فَقِدَ من ابنى أمره, فما فُقِدَت من قلبى ذكراه."[٥٦] ثم أوضح مؤرخنا بعد ذلك أن الإسكندر كان قد "عهد إلى ولىّ عهده بطليموس بن أريت أن يحمل تابوته إلى والدته بالإسكندرية," وأوصاه أن يجعلها تقيم وليمة لا يأتى إليها من "فقد محبوباً أو مات له خليل," وهو الأمر الذى استحسنته والدته بعد ذلك عندما لم يأت إليها أحد لتعزيتها, وقالت: "لقد عزّانى ولدى أحسن العزاء." ثم يضيف المسعودى بعد ذلك أن والدة الإسكندر أمرت بجثمانه:

فجُعل فى تابوت من المرمر, وطُلى بالأطلية الماسكة لأجزائه, وأخرجته عن الذهب؛ لعلمها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه فى ذلك الذهب, وجعل التابوت المرمر على أحجار نُضّدت, وصخور نُصبت, من الرخام والمرمر قد رصفت, وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يُعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت.[٥٧]

وتعرفنا المقارنة بين ما يذكره المسعودى عن وفاة الإسكندر وبين ما نعرفه من المصادر اليونانية القديمة بمقدار ما لحق بسيرته من تغيير وتبديل عبر العصور والثقافات المختلفة. حقيقة إن جسده قد تم تحنيطه وتجهيزه للدفن, وإنه دفن فى مدينة الإسكندرية التى أقامها فى مصر, وإن ذلك كان بتدبير بطلميوس الذى اعترض موكب الجنازة فى شمال سوريا وجعله يتجه إلى مصر بدلاً من مقدونيا. وحقيقة كذلك إن جثمان الإسكندر قد تم نقله من التابوت الذهبى الذى كان مدفوناً فيه, إلى تابوت آخر من المرمر. ولكن بطلميوس الذى قام بدفنه فى الإسكندرية هو ابن لاجوس وليس ابن أريت,[٥٨] مثلما أنه قام بهذا العمل بمبادرة منه, ومعارضاً بذلك بقية القادة وعلى رأسهم بِرديكّاس, الذى كان يريد له أن يُدفن فى عاصمته المقدونية بيدنا.[٥٩] كذلك فإن نقل الجثمان من تابوته الذهبىّ إلى تابوت من المرمر لم يكن بمبادرة من أوليمبياس والدته التى كانت تقيم فى مقدونيا وليس فى الإسكندرية, ولكنه حدث بعد وفاته بما يزيد عن قرنين من الزمان, وكان ذلك على يد الملك بطلميوس العاشر الذى احتاج إلى ذهب التابوت لكى يدفع أجور بعض جنوده المرتزقة.[٦٠] الأمر الأخير الذى يسترعى الانتباه فى هذا الحديث, هو ما يذكره المسعودى عن تأبين الإسكندر بواسطة الحكماء, وما يرويه عن وصيته لوالدته. فبالإضافة إلى أننا لا نجد لهذا الأمر ذكراً فى المصادر القديمة والمعاصرة للأحداث,[٦١] يمكننا أن نلحظ أيضاً أنه يغلب عليه الطابع الأخلاقىّ والفلسفىّ, وربما أن شخصية هذا القائد واهتمامه بالحكماء كانا سبباً وراء إضافة مثل هذه الروايات وغيرها.

وتتوافق رواية المسعودى لوفاة الإسكندر فى طابعها الفلسفىّ والأخلاقىّ مع ما يذكره فى الباب الذى خصصه بعد ذلك لذكر "جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند." ففى هذا الباب لا يتعدى الحديث عن الحروب السطور الأولى لينتقل بعدها إلى مناقشة ما كان من حوار بين الإسكندر وبين بعض فلاسفة الهند وعلمائها. ومن الطريف أن هذه السمة الطاغية على الباب قد جعلت أحد النسّاخين يغير العنوان فى مخطوطه إلى "جوامع من أخبار جرت للإسكندر بأرض الهند."[٦٢] ويدرك مؤرخنا ذاته طبيعة حديثه فى الكلمة التى يختتم بها هذا الجزء من كتابه حيث يقول إنه ذكر

مثل هذه الأقاصيص "لئلا يَعْرَى كتابنا من شئ منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته."[٦٣] وفى الحقيقة فإن تنشئة الإسكندر وتتلمذه على يد أرسطو[٦٤] كان لهما أثرهما على شخصيته, وتجلى هذه الأثر فى اهتماماته العلمية والفلسفية وفى مسيرة فتوحاته, حتى إن المصادر اليونانية القديمة ذاتها تشير إلى بعض المحاورات التى دارت بين هذا القائد وبين بعض الحكماء الهنود.[٦٥] ويعرفنا التفاوت الموجود بين الروايات اليونانية لهذه المحاورات وبعضها البعض من ناحية, وبينها وبين رواية المسعودى من ناحية أخرى, أننا لا نستطيع أن نقبل أياً منها على أنها تصور حقيقة ما جرى فى اللقاءات التى جمعت بين الإسكندر والحكماء المشار إليهم.

وختاماً لهذه المناقشة لما يورده المسعودى عن الإسكندر نلحظ أنه يذكر أنه توفى وهو "ابن ست وثلاثين سنة, وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا, وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا, وتملكه على سائر ملوك الأرض, وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنة."[٦٦] ويكرر مؤرخنا الإشارة إلى هذه السنوات مرة أخرى فى كتابه الأخير, وإن كان يلحظ هنالك أن هناك "تنازع فى مدة ملكه بين المجوس والنصارى وغيرهم." وأنه "أفضى الملك إليه وله ست وثلاثون سنة, والعوام تُكثر من سنيه, وهذا هو المعول عليه."[٦٧] وتتميز ملاحظة المسعودى هنا بالاقتضاب وأنه لا يشير إلى الآراء الأخرى, مقتصراً على ما يطمئن إليه. ولأن ما يعَوّل عليه هنا لا يطابق حقيقة الأمر, فإن المرء يود أن يعرف الآراء المتنازعة التى يشير إليها والتى أغفل ذكرها. ففى مقابل ما يذكره من سنوات يمكننا أن نتوقف عند ما يذكره أريانوس, الذى اشتهر بلقب مؤرخ الإسكندر بسبب كتابه عن حملات هذا القائد, عن سنوات حكمه. إنه يوضح أن الإسكندر "عاش اثنتين وثلاثين عاماً وثمانية أشهر, وأنه حكم لمدة اثنى عشر عاماً وثمانية أشهر."[٦٨] وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن الإسكندر وُلد فى صيف عام ٣٥٦ ق.م, وأنه تولى الحكم عام ٣٣٦ ق.م, بعد وفاة والده, وأنه توفى فى صيف عام ٣٢٣ق.م,[٦٩] فسوف يتضح عندئذ أنه تولى الحكم وعمره عشرون عاماً, وأنه توفى وعمره حوالىّ الثالثة والثلاثين عاماً إلا قليلاً. وبالنظر إلى أن وفاة دارا كانت فى صيف عام ٣٣٠ق.م,[٧٠] فإن مدة حكمه قبل وفاته ستصبح ست سنوات, وما تبقى له

فى الحكم بعدها لن يتعدى بأية حال السبع سنوات. ولأن الوفاة تشكل عنصراً مهماً فى مناقشة المسعودى لمدة حكم الإسكندر, يمكننا أن نستشعر هنا أنه اعتمد فى حسابها على روايات فارسية ربما تفتقر إلى الدقة. ربما أن الفروق هنا ليست كبيرة كما كان الحال فى حساب سنوات حكم والده, ولكن السمة العامة أنه لا يمكن التعويل, بشكل عام, على ما يورده عن سنوات حكم الملوك الذين أشار إليهم بعد ذلك فى تاريخه.

- الملوك البطالمة:

اشتهر حكام مصر اليونانيون فى الثلاثة قرون التى أعقبت وفاة الإسكندر الأكبر بأنهم حملوا جميعاً اسماً واحداً هو بطلميوس. ويلحظ المسعودى ذلك حيث يشير إلى أن "كل ملك يملك على اليونانيين بعد الإسكندر بن فيلبس [كان] يسمى بطليموس, و[كان] هذا الاسم الأعم الشامل لملكهم," مثل لقب كسرى عند ملوك الفرس, وقيصر عند حكام الرومان, وتُبّع عند ملوك اليمن, والنجاشى عند ملوك الحبشة.(٧١) ومع ذلك فإنه, وهو الذى أشار قبل ذلك إلى مقدونيا على أنها مصر, لا يميز بين حكام مصر وبين الملوك اليونانيين من حكام المناطق الأخرى التى انقسمت إليها إمبراطورية الإسكندر. إنه يشير إلى حكام سوريا وإلى مدينة أنطاكيه التى يعلق قائلاً إنها حملت اسم مؤسسها أنتيوخوس, الذى يشير إليه على أنه أبطنجنس, وأنها كانت مقراً لحكمه,(٧٢) ولكنه لا يَعُدّه من هؤلاء الملوك اليونانيين. ولهذا فإن أول ما نلحظه على هذا الحديث الذى جعل له مرة عنواناً "ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر," ومرة أخرى "ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين" أنه لا يشير إلى حكام بقية الممالك الهللينستية الأخرى, مثل المملكة السليوقية فى الشام, والمملكة الأنتيجونية فى مقدونيا, وغيرهما من الممالك الأقل شأناً فى آسيا الصغرى, على الرغم من كونها ممالك يونانية, وعلى الرغم من كون حكامها مقدونيين. وفيما عدا هذه الملاحظة المبدئية فإن حديثه هنا يشتمل على ثلاث نقاط رئيسة هى: ما يشير إليه من أعداد الملوك ومجموع سنوات حكمهم وعدد سنوات حكم كل منهم؛ ثم ألقابهم التى ميزتهم عن بعضهم البعض, ثم أعمال أكثرهم أهمية.

وفيما يتعلق بأعداد الملوك وسنوات حكمهم فإن مؤرخنا يوضح فى واحد من كتابيه أن الذى: "يعول عليه من عدد ملوكهم, واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم, أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكاً, آخرهم قلبطرة, وأن جميع عدد سنىّ ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة."(٧٣) وبينما لا يحدد المسعودى هنا "أهل المعرفة" الذين يعنيهم, ويكتفى بذكر "ما يعول عليه", فإن حديثه لا يخلو من طرافة عندما ندرك أنه يناقض نفسه, أو لعله يصححها, فى كتابه الأخير, حيث يؤكد أن "عدد ملوك اليونانيين من فيلبس أبى الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكاً, وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث،وتسعون سنة, وثمانية عشر يوماً." وبعد أن يوضح أن معلوماته هنا مستمدة من "قانون ثاون الإسكندرانى وغيره," يضيف بعد ذلك مبيناً أن هناك آراءً أخرى؛ إذ إنه: "ذهب قوم ممن عنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم إلى أن عدة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين, وقيل فى عدة ملوكهم ومدة سنيهم أكثر من ذلك وأقل, غير أن الأشهر ما ذكرناه."(٧٤)

وتوضح النظرة إلى قوائم الملوك الذين أشار إليهم المسعودى فى كتابيه أن هناك مشكلة تتعلق بعددهم, الذى أشار إليه مرة على أنه أربعة عشر, ومرة أخرى على أنه ستة عشر. حقيقة إن جملته فى "التنبيه والإشراف" التى يذكر فيها أن ملوك اليونانيين "من فيلبس أبى الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكاً." أكثر دقة, من حيث إنها تحدد أول هؤلاء الملوك وآخرهم, ولكن قوله: "إلى قلوبطرة" ينبغى فهمه على أنه: "حتى قلوبطرة" ليتوافق العدد المذكور فى هذه القائمة مع المجموع الذى يشير إليه. إن مجموع الحكام البطالمة هو ستة عشر حاكماً, ابتداءً ببطلميوس الأول وانتهاءً بكليوباترا السابعة. ولكن نظراً لأن بطلميوس السابع توفى وهو طفل,(٧٥) ولأن كليوباترا السابعة كانت الحاكمة الفعلية وكان ابنها بطلميوس الخامس عشر مجرد طفل عندما أعلنته ملكاً,(٧٦) فإن قائمة الحكام البطالمة الفعليين يمكن أن تشتمل فقط على أربعة عشر حاكماً. وفى الحالتين فإن مجموع "الملوك اليونانيين" الذى يورده مؤرخنا يمكن أن يشير فقط إلى الملوك البطالمة.

وبالمقارنة بمشكلة عدد الملوك, فإن مسألة مجموع سنوات حكمهم, المرتبطة بها, تبدو أكثر تعقيداً. لقد أشار المسعودى مرة إلى أن مجموع سنوات حكمهم هو ٣٠١ عاماً, ومرة ثانية أنه ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً, ومرة ثالثة أنه ٣٠٣ عاماً, بالإضافة, بطبيعة الحال, إلى ما لم يذكره من أقوال أخرى أقل شهرة مما أشار إليه. وإذا ما حسبنا مجموع السنوات الفعلية التى ذكرها أمام قائمة الملوك فى كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" فسوف نجد أنها ٣٦٨ عاماً (مع حساب السنوات الأقل لحكم بطلميوس الأول وبطلميوس الثانى), مقابل ٣٠١ عاماً فى كتاب "التنبيه والإشراف." وسيتضح من ذلك أن المسعودى ذكر فى الكتاب الأخير مجموع السنوات الذى يتطابق مع الرقم الذى سجله فى الكتاب الأول. وسيتضح كذلك أن كافة الأرقام التى أوردها لمجموع سنوات حكم الملوك (البطالمة) اليونانيين مجافية للحقيقة, باستثناء ما ذكره من أن هذا المجموع هو ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً. بل إن هذا الرقم لن يكون صحيحاً إلا إذا فهمناه على أنه يشير إلى حكم الملوك البطالمة وحدهم, تماماً كما كان الحال مع أعداد الملوك.

لقد أتى بطلميوس الأول إلى مصر عام ٣٢٣ ق.م بوصفه ساترابا, أو ممثلاً للسلطة المركزية فى الإمبراطورية. وفى عام ٣٠٥ ق.م أعلن نفسه ملكاً, وحكم حتى توفى عام ٢٨٣ ق.م,[٧٧] بعد أن أشرك معه فى الحكم ابنه بطلميوس الثانى فى العامين الأخيرين من حياته.[٧٨] ولهذا فإن لدينا تاريخين نستطيع أن نبدأ معهما الحكم البطلمىّ فى مصر, وأن نفسر بهما فى الوقت ذاته التفاوت الكبير الذى لاحظه المسعودى فى مدة حكم بطلميوس الأول, التى ذكر البعض أنها أربعون سنة (٣٢٣ – ٢٨٣ ق.م), بينما أشار البعض الآخر إلى أنها عشرون سنة (٣٠٥ – ٢٨٥ ق.م). وعلى ما يبدو فإن المسعودى فى حسابه لمدة الحكم البطلمىّ فى كتابه "التنبيه والإشراف" رجع إلى قائمة تبدأه بعام ٣٢٣ ق.م. ونظراً لأن هذا الحكم انتهى عام ٣٠ ق.م, فإن مرحلة استمراره ستتوافق عندئذ مع ما يشير إليه من أن مدته كانت ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً.

من ناحية أخرى باستطاعتنا أن نلحظ أن مجموع السنوات, الذى ذكره مرة على أنه ٣٠٣ عاماً ومرة أخرى على أنه ٣٠١ عاماً, ليس بعيداً تماماً عن الواقع التاريخىّ. ربما أنه لا ينطبق على مدة حكم البطالمة فى مصر, ولكنه يمكن أن يشير إلى المدة التى وقعت فيها البلاد تحت النفوذ اليونانىّ. لقد أتى الإسكندر بقواته إلى مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق.م., وغادرها فى ربيع العام التالى متجهاً إلى الشام والعراق لمواصلة حملاته لتحقيق الهدف الذى خرج من أجله من بلاد اليونان.(٧٩) ومنذ ذلك التاريخ بدأت البلاد تدور فى فلك العالم اليونانىّ, حتى مجىء الرومان عام ٣٠ ق.م.(٨٠) وبمقارنة مجموع السنوات المشار إليه فى الحالتين بالمدة الواقعة بين فتح الإسكندر للبلاد عام ٣٣٢ (أو حتى مغادرته لها عام ٣٣١ ق.م) وبين هزيمة كليوباترا وأنطونيوس فى موقعة أكتيوم عام ٣١ ق.م. أو حتى فتح الرومان لها فى العام التالى, فإن كلاً منهما يمكن أن يشير إلى فترة نفوذ اليونانيين فى مصر بالمقارنة بما سبقها وما أعقبها من مراحل, مثلما يمكن أن يبرر نوعاً ما اشتمال قوائم الحكام التى رجع إليها المسعودى على الإسكندر الأكبر.(٨١)

وترتبط بمشكلة عدد الحكام البطالمة "اليونانيين", وبمسألة مجموع سنوات حكمهم, مشكلة ثالثة تتعلق بسنوات حكم كل منهم. وتبين المقارنة بين ما يذكره المسعودى على أنه سنوات حكم هؤلاء الملوك أن هناك تفاوتاً كبيراً بين ما يذكره أمام كل منهم فى كل من الكتابين. وتزودنا هذه المقارنة بفكرة عن حجم ذلك التفاوت الذى يعكس فى هذه الحالة مدى التغيير والتبديل الذى لحق بتلك المعلومات فى أثناء عملية النقل والترجمة عن المصادر القديمة, ربما أكثر مما يوضحه عن التفاوت بين هذه المصادر. ويتبين منها أيضاً أن هناك فروقاً كبيرة فى سنوات الحكم بين "مروج الذهب ومعادن الجوهر" و "التنبيه والإشراف," وبين السنوات الفعلية للملوك البطالمة. ويتبين هنا أن كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر," أقرب إلى الدقة فيما يتعلق بسنوات حكم كل ملك على حدة, بينما يتميز "التنبيه والإشراف" بأنه أقرب إليها فيما يتعلق بعددهم وبمجموع سنوات حكمهم.(٨٢)

أما ثانى النقاط التى يمكن تمييزها فى الحديث عن الملوك اليونانيين بعد الإسكندر فتتعلق بالألقاب التى حملها كل منهم. لقد كانت لهذه الألقاب, بطبيعة الحال, ضرورتها العملية خاصة وأن هؤلاء الملوك حملوا جميعاً اسماً واحداً أصبح فى القرون التالية مميزاً لحكام مصر بين بقية الممالك الهللينستية الأخرى.(٨٣) والملاحظ أن الحديث هنا يقتصر على الألقاب الرسمية لهؤلاء الملوك ولا يتطرق إلى الألقاب الشعبية التى أطلقتها عليهم رعاياهم. وهنا أيضاً تساعدنا المقارنة بين الألقاب الواردة بكتابى المسعودى وبين الألقاب التى حملها هؤلاء الحكام على التعرف على مدى دقة قوائمه. ويتبين كذلك أن التفاوت بين الألقاب المذكورة فى "مروج الذهب ومعادن الجوهر," وبين تلك الواردة فى "التنبيه والإشراف" يشمل كافة الملوك البطالمة باستثناء بطلميوس الثالث.(٨٤) أما إذا قارنّا بين الألقاب الواردة فى الكتاب الأول وبين الألقاب الفعلية لهؤلاء الملوك فسنجد أن هناك تطابقاً فقط فى حالة ستة ملوك هم بطلميوس الثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع.(٨٥) ولأن نسبة التطابق تقتصر فى حالة الألقاب الواردة بقائمة "التنبيه والإشراف" على حالة واحدة فقط هى بطلميوس الثالث, فإنه يتضح هنا أيضاً أن كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر," الذى كانت سنوات حكم الملوك فيه أكثر دقة من "التنبيه والإشراف," هو أيضاً أكثر دقة فيما يتعلق بألقاب الملوك البطالمة.

الأمر الأخير الذى يسترعى الانتباه فى هذا الموضوع هو التغيير فى دلالة لقب "يورجيتيس", التى تغيرت على يد المترجمين من اليونانية إلى العربية. إن كلمة "ευεργετησ" تشتمل أصلاً على بادئة "ευ" بمعنى "جيد" أو "حَسَن" وكلمة "εργατησ", التى هى اسم الفاعل من الفعل "εργω", الذى يعنى: يصنع أو يعمل. وبطبيعة الحال فإن السياق الذى وردت فيه الكلمة حال كونها لقباً للملوك البطالمة يركز بالضرورة على ما قاموا به من أعمال خيرية تجاه رعاياهم. وما نشهده فى دلالة الكلمة الواردة فى كتابات المسعودى هو أن المترجم, الذى لم يلحظ الدلالة الخاصة للقب, ترجم الكلمة بمعناها الحرفىّ فأصبح التركيز فيها على البراعة فى العمل وليس على طبيعته أو نوعيته, فأصبحت مرة "الصانع" ومرة أخرى "الأريب."

كذلك نستطيع أن نلحظ زلة المترجم فى تعريبه فى إحدى المرات للقب الإسكندر على أنه الإسكندرانى فى "كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر." فنسب حامله بذلك إلى المدينة وليس إلى الإسكندر الأكبر. على الرغم من أنه استخدم الصيغة الصحيحة فى وصفه للملك السليوقىّ بأنه "الإسكندروس".[٨٦] والأمر ذاته ينطبق على كلمة نيوس "νεοσ"، التى ترجمت مرة "الجديد" ومرة أخرى "الحديث"، على الرغم من أنها تعنى فى هذا السياق "الصغير". ويتبين خطأ الترجمة كذلك فى كتابته للقب بطلميوس الثانى عشر الوارد فى كتاب "التنبيه والإشراف" على أنه "ديونيسيوس." وهو اسم كان يُنادى به البشر العاديون. بالمقارنة باسم "ديونيسوس" (الذى لا يشتمل على الياء التى تعقب السين) الذى كان يُنادى به الإله.

وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة والأخيرة فى حديث المسعودى عن الملوك البطالمة، وهى أعمال هؤلاء الحكام، يمكن ملاحظة أنه اقتصر على أعمال أربعة منهم بقدر متفاوت من التفصيل، وهم بطلميوس الأول والثانى والرابع وكليوباترا السابعة، مثلما أن معظم الحديث عن هذه الأعمال ورد فى كتابه الأول، "مروج الذهب ومعادن الجوهر". فبمقارنة معلوماته هنالك بما ورد فى "التنبيه والإشراف" يمكن القول إن هذا الكتاب لا يشتمل إلا على مجرد قائمة بأسماء هؤلاء الملوك وألقابهم. إنه يشير فقط إلى بطلميوس الثانى الذى ترجمت فى عهده التوراة من العبرية إلى اليونانية وإلى أنه ترجمها "اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر." بل إن حديثه عن هذه الترجمة لا يعرفنا بظروفها ولا بالدافع من ورائها. وينتقل مباشرة إلى توضيح أن هذه النسخة اليونانية ترجمت إلى العربية على يد حنين ابن اسحاق، وأن هناك بعض الترجمات العربية الأخرى للتوراة، وأن فِرَق الإسرائيليين يتفاوتون فى الأخذ بأى من الترجمتين. ويختتم المسعودى حديثه عن الملوك اليونانيين فى "التنبيه والإشراف" بتصحيح معلومة خاطئة وردت فى كتابه الأول، وتتعلق ببطلميوس القلوذى، الذى أشار إليه هنالك على أنه أحد الملوك البطالمة. إنه يوضح الأمر قائلاً: "وليس ابطلميوس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وغيره من الكتب من هؤلاء البطلميوسيين ولم يكن ملكاً."[٨٧]

ونعرف من المعلومات الواردة فى كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أن بطلميوس الأول كان "حكيماً عالماً سائساً مدبراً وأنه كانت له حروب مع بنى إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام." وفيما عدا ذلك فإن الخبر الأهم بالنسبة لمؤرخنا هو أن بطلميوس هذا هو أول من اقتنى البُزاة, وهو نوع من الطيور, ويستطرد فى حكاية قصة أو نادرة طريفة تفسر ذلك.(٨٨) أما حديثه عن بطلميوس الثانى فيشتمل على إشارة موجزة إلى أنه ظهرت فى أيامه "عبادة التماثيل والأصنام" ولعل مصدره يعنى بذلك تأسيس هذا الملك للعبادة الملكية البطلمية. كذلك فإنه يشير بإيجاز إلى أنه "غزا بنى إسرائيل ببلاد فلسطين, وإيليا من أرض الشام, فسباهم وقتل منهم, وطلب العلوم, ثم ردّ بنى إسرائيل إلى فلسطين, وحمل معهم الجواهر والأموال, وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس."(٨٩) وتكتسب عبارة "وطلب العلوم" دلالة خاصة فى ضوء ما نعرفه من اهتمام هذا الملك أيضاً بمكتبة الإسكندرية وبالموسيون, أو متحف الفنون الموجود بالمدينة, ومن أنهما شهدا ازدهاراً كبيراً فى عهده. أما بطلميوس الرابع, المعروف بالمحب لأبيه, فإن المسعودى يشير إلى أهم أعماله قاطبة عندما يذكر أنه كانت له "حروب مع ملوك الشام, وصاحب مدينة أنطاكيه الإسكندروس." والإشارة هنا إلى موقعة رفح التى حدثت عام ٢١٧ ق.م. بين بطلميوس الرابع وأنتيوخوس الثالث الذى يشير إليه المسعودى على أنه يحكم مدينة أنطاكيه, والذى كان لقبه بالفعل يشبهه بالإسكندر. لقد كانت نتيجة هذه المعركة حاسمة لأنها احتفظت لمصر بسيطرتها على سوريا الخالية طوال الأعوام المتبقية من القرن الثالث قبل الميلاد.(٩٠)

ويتشابه حديث المسعودى فى "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عن أعمال كليوباترا, من حيث طابعه الأخلاقىّ والفلسفىّ, مع حديثه عن الإسكندر الأكبر. ويبدأ الحديث بتوضيح أنها كانت "حكيمة متفلسفة, مقربة للعلماء, وأن لها كتب مصنفة فى الطب والرُقية وغير ذلك من الحكمة, مترجمة باسمها, منسوبة إليها, معروفة عند صنعة أهل الطب."(٩١) وفى الحقيقة فإن هذه المعلومات التى تستند إلى الواقع فى بعض جزئياتها تعتمد على ما كان معروفاً عند هذه الملكة من حنكة ودهاء سياسيين,

ومن اهتمام بالأدب والمعرفة.[٩٢] ولكنها, مع ذلك, توضح لنا أن كليوباترا تحولت مع مرور الوقت, مثل الإسكندر, إلى أسطورة تاريخية. وفيما عدا هذا فإن الحديث هنا يقتصر بعد ذلك على أمرين: أولهما, الصراع الذى دار بينها وماركوس أنطونيوس فى جانب, وبين أوكتافيانوس فى الجانب الآخر؛ وآخرهما, هو ظروف وفاتها. وفى الحقيقة فإن كلاً من هذين الأمرين يفسر الشهرة التى تمتعت بها كليوباترا فى العصور القديمة وعبر مراحل التاريخ المختلفة.

ويمثل الصراع بين كليوباترا وأوكتافيانوس آخر مرحلة من مراحل سعيها الدائم إلى السلطة ومحاولتها الاحتفاظ بها. وهو الصراع الذى انتهى بهزيمة كليوباترا وبدخول مصر تحت سيطرة الرومان, كما سبقت الإشارة. ويشير المسعودى إلى أن أنطونيوس, غريم أوكتافيانوس, كان زوجاً لكليوباترا, وأنه شاركها فى ملك "مقدونية وهى بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها." أما أوكتافيانوس فأشار إليه بلقبه الذى حمله بعد ذلك وهو "أغسطس," وذكر خطأ أنه كان ثانى ملوك الروم و"أول من سمى قيصر, وإليه تنسب القياصرة بعده."[٩٣] أما مشهد وفاتها فقد أسهب مؤرخنا فى وصفه كذلك, وبشكل لا يخلو من طرافة, سواء فى ذكره للحَيّة التى قتلتها أم فى تصويره لسرير الوفاة. فبعد أن لحقت بها وبأنطونيوس الهزيمة على يد أوكتافيانوس وأدركت أنه يريد أن يصل إليها لكى "يتعلم منها؛ إذ كانت بقية الحكماء اليونانيين, ثم بعدها يقتلها," رتبت كليوباترا نهايتها بأن:[٩٤]

أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها, وأن لا يلحقها العذاب من بعدها, فسمتها [أى الحية] فى إنائها فخمدت من فورها, ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير ملكها, ووضعت تاجها على رأسها, وعليها ثيابها وزينة ملكها, وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجتمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا, مبسوطة فى مجلسها وقُدّام سريرها, وعهدت بما احتاجت إليه من أمورها, وفرقت حشمها من حولها . . . وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذى كانت فيه الحية, فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية, فجفت مكانها.

وقد لدغت الحية أوكتافيانوس, الذى دخل عليها وهى فى هذا الوضع, وتسببت فى شلل "شقه الأيمن من ساعته, وذهب بصره الأيمن وسمعه." كذلك فإنه تعجب مما فعلته بنفسها, و "قال فى ذلك شعراً بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها, وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوماً وهلك."[٩٥] ويكفى أن ندرك مدى عدم الدقة فى تصوير هذه الأحداث إذا ما علمنا أن أغسطس عاش بعد ذلك التاريخ ما يقرب من أربعة وأربعين عاماً, وأنه لم يصبه ما يشير إليه المسعودى, وأنه لم يكن شاعراً بأية حال من الأحوال.

- خاتمة:

شَكّل تاريخ اليونان أحد الموضوعات المهمة فى كتابات المسعودى الذى تناوله فى أكثر من كتاب وحرص على الإشارة إليه فى مختصره الأخير "التنبيه والإشراف". وفى تناوله لهذا الموضوع كان تركيزه بدرجة أكبر على أصل اليونانيين وعلى أعمال أهم ملوكهم وأشهرهم: الإسكندر الأكبر وكليوباترا السابعة. ويتبين من ذلك أن حديثه عن هذا التاريخ ينصب بالدرجة الأولى على مرحلة العصر الهللينستىّ (المتأغرق), أى مرحلة ما بعد الإسكندر, مثلما أن ملوك اليونانيين بالنسبة له هم ملوك البطالمة الذين كانوا يحكمون فى مصر. كذلك فإن حديثه عن الإسكندر يعرفنا بصورته عند الهنود والشعوب الشرقية أكثر مما يعرفنا بأعماله وتاريخه, والأمر ذاته ينطبق, وإن كان بشكل متفاوت, على كليوباترا. إننا نقابل أسطورة هاتين الشخصيتين فى كتابات المسعودى وقد تحولت إلى تاريخ كان محل التركيز فيه على قدراتهما الفلسفية وعلى حكمتهما, أكثر منه على أعمالهما العسكرية ومهارتهما السياسية.[٩٦]

ويتضح من إشارة المسعودى المتكررة إلى أن مقدونيا هى مصر أن معرفته بجغرافية بلاد اليونان كانت محدودة, وهو الأمر الذى يفسر أيضاً عدم إشارته إلى الممالك الهللينستية (المتأغرقة) الأخرى ومن أشهرها المملكة الأنتيجونية فى بلاد اليونان ذاتها, والمملكة السليوقية فى بلاد الشام وآسيا الصغرى. ويتسم حديثه كذلك بعدم الدقة فيما يتعلق بسنوات حكم الملوك البطالمة الذين أشار إليهم وفيما يتعلق

بألقابهم. ويتبين هنا أن كتاب مروج الذهب أكثر دقة فيما يتعلق بالألقاب وبسنوات حكم الملوك, بينما يتميز كتاب التنبيه والإشراف بأنه أكثر دقة فيما يتعلق بأعدادهم ومجموع سنوات حكمهم وهجاء أسمائهم.

وفى كتابته لفصوله عن تاريخ اليونان استعان المسعودى ببعض الأعمال المترجمة, واعتمد على بعض الدراسات التاريخية العربية السابقة له. ولأن هذه الترجمات خضعت "لسحر قلم المترجم,"[٩٧] ولأن الكتابات السابقة لم يصل إلينا منها الكثير, فمن الصعب أن ننسب إليه كافة الأخطاء الواردة فى كتبه. لقد سجل الرجل ما كان يعتقد أنه تاريخ اليونانيين, ولهذا فإن كتاباته تعرفنا بفكرته عن تاريخ اليونان, ربما أكثر مما تعرفنا بهذا التاريخ وبأحداثه.

كذلك فإن إشاراته إلى الكتابات التاريخية لبطلميوس كلاوديوس وثيون السكندرى توضح أن هناك بعض الأعمال التاريخية اليونانية التى ترجمت إلى العربية, والتى يسرت له إقامته ببغداد سبل الاطلاع عليها. ربما أنها ليست كثيرة, ولا تكفى الآن لتغيير الفكرة السائدة التى مؤداها أن حركة الترجمة العربية اقتصرت على الأعمال العلمية والفلسفية والجغرافية, ولكن بعضها كان معروفاً ويشار إليه, وهو ما نأمل أن تؤكده أيضاً بعض الدراسات التالية لتاريخ اليونان فى كتابات غيره من المؤرخين العرب. ويتضح من مناقشة المسعودى لتاريخ اليونان أنه لم يكن يعرف اليونانية القديمة, ولم يقرأ كتب البحاثة والعلماء اليونانيين الذين أشار إليهم فى لغتها الأصلية, وإلا صحَّح بنفسه بعض الأسماء اليونانية, وكانت معلوماته عن تاريخ اليونان أكثر دقة وربما أيضاً أكثر تفصيلاً. وفى الحقيقة فإننا نظلم الرجل, أكثر مما نمدحه, عندما نتوقع منه أن يكون "مُلمّاً" بكافة ألوان المعارف والعلوم وكافة لغات الشعوب والحضارات التى كتب عنها وأشار إليها فى مؤلفاته الموسوعية.[٩٨]

الحواشي:

(١) فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣، صفحات ١٨٧-١٨٨؛ وكذلك: J. L. Kraemer, *Humanism in the Renaissance of Islam, The Cultural Revival During the Buyid Age*, ٢nd *revised* edition, Netherlands, ١٩٩٢, ١-٣٠.

(٢) D. Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture: The Graeco-Arabic Translation Movement in Baghdad and Early Abbasid Society (٢nd-٤th/٨th-١٠th centuries)*, London, ١٩٩٨ وبخاصة ص ٢، راجع أيضاً: الدكتور رشيد الجميلي، حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلاميّ في القرنين الأول والثاني للهجرة، منشورات جامعة قاريونس، ب. ت.، صفحات ١٧١-١٩١.

(٣) J. Bloom and S. Blair, *Islam: A Thousand Years of Faith and Power*, New Haven, ٢٠٠٢, esp. ١٢٤-١٢٥, ١٣٠-١٣١؛ وبالنسبة لاصطلاح العرب فإنه يشير في هذه الدراسة، ببعض التجاوز، إلى كافة الناطقين بالعربية بغض النظر عن أصولهم العرقية أو انتماءاتهم الدينية أو مواقعهم الجغرافية.

(٤) الدكتور سليمان بن عبد الله المديد السُوَيْكت، منهج المسعودى في كتابة التاريخ، الرياض، ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م، صفحات ٢٤٤-٣٠٥، وكذلك الدكتور على حسنى الخربوطلى، المسعودى، سلسلة نوابغ الفكر العربى، العدد ٣٨، القاهرة، ١٩٦٨، صفحات ٢٤، ٢٩، ٤٤-٤٧.

(٥) يرى سليمان السُوَيْكت (المرجع السابق، ص ٢٦٥) في تشبيه المسعودى بهيرودوت نوعاً من الحطّ من قدره، ومع ذلك فإن هذه الفكرة غير واردة في هذا السياق لأن كلاً من الرجلين كان علماً من أعلام الكتابة التاريخية في وسطه الثقافيّ والحضاريّ. وفيما يتعلق ببعض الألقاب الأخرى التي أطلقت عليه، ومن بينها "إمام المؤرخين،" و "بلينيوس الشرق؛" انظر: على حسنى الخربوطلى، المرجع السابق، صفحات ٥٢-٥٣ .

(٦) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م؛ المؤلف ذاته، التنبيه والإشراف، لجنة تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣. علماً بأن هناك أيضاً أجزاء من بعض كتبه الأخرى ما تزال في شكل مخطوطات لم يتم تحقيقها بعد، وبأن الإشارات التالية في الحواشي هي إلى هذه الطبعات.

(٧) D. M. Dunlop, *Arab Civilization to A.D. ١٥٠٠*, Beirut, ١٩٧١, ١١٤: "Masterpieces of Arab historical writings."

(٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٠؛ علماً بأن هذه العناوين قد كتبت في بدايات الأبواب بقدر يسير من التصرف على صفحات ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠١؛ وأنه أشار في بعض المواضع الأخرى من الكتابين إلى آثارهم وأهم دور عبادتهم.

Obeikandi.com

(٩) التنبيه والإشراف، ص ٢٠، حيث يشير إلى كونه مختصر؛ وصفحات ١١٣-١٢٢، حيث يتحدث عن ملوك اليونانيين.

(١٠) المصدر ذاته، صفحات ١١٦-١٢٢ .

(١١) نظراً لأن كتبه الثلاثة الأخرى التى كتبها بينهما، وهى كتاب "فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف،" و "ذخائر العلوم وما كان فى سالف الدهور،" و "الاستذكار فيما جرى فى سالف الأعصار،" لم تصل إلينا؛ علماً بأن المسعودى أتم كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عام ٣٣٦هـ، ثم بدأ كتاب "التنبيه والإشراف" عام ٣٤٥هـ، وكانت وفاته عام ٣٤٦هـ؛ انظر: سليمان السويكت، المرجع السابق، ص ٢٥٨ .

(١٢) التنبيه والإشراف، صفحات ٢١-٢٢ حيث يقول: .... وأن مملكتى اليونانيين والروم تتلوان مملكة فارس فى العظم والعز، ... فأحببنا أن لا نخلى كتابنا هذا من ذكرهم. ؛ وكذلك: Dunlop, *op. cit.*, ١٠٥, ١٠٩

(١٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٥-٢٨٦؛ التنبيه والإشراف، ص ١١٦ .

(١٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٥؛ حيث يقول: " إنما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون إلى حيث تنسب الروم، وينتمون إلى جدهم إبراهيم، لأن الديار كانت مشتركة والمقاطن والمواطن كانت متساوية، وكان القوم قد شاركوا القوم فى السجية والمذهب، فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الأب واحداً، وهذا طريق الصواب عند المفتشين، وسبيل البحث عند الباحثين، والروم قَفَت فى لغاتها ووضْع كتبها اليونانيين؛ فلم يصلوا إلى كنه فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم، والروم أنقص فى اللسان من اليونانيين، وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه نهج تعبيرهم وسنن خطبهم". ويتضح هذا الربط أيضاً فى كتابات بعض الأندلسيين، راجع: M. *Graeco*- Marin, "*Rum* in the Works of Three Spanish Muslim Geographers," *Arabica, First International Congress on Greek and Arabic Studies*, Athens, ١٩٨٤, ١٠٩-١١٧

(١٥) المصدر ذاته، ص ٢٨٥ .

(١٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٦-٢٨٧ .

(١٧) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٩٢: "مقدونية، وهى مصر." وكذلك ص ٣٠٤: "مقدونية، وهى بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها." وأيضاً ص ٣٠٩: "وأزال من بقى من ملوك الإسكندرية ومقدونية، وهى مصر."

(١٨) المصدر ذاته، ص ١٢٠؛ حيث يشير إلى بحر نيطش ومانطش وخليج القسطنطينية.

(١٩) الدكتور جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثانى، بيروت-بغداد، ١٩٦٩، ص ٥؛ وقارن كذلك: سليمان السويكت، المرجع السابق، ص ٣٢٦ .

(٢٠) التنبيه والإشراف، ص ١١٤ .

(٢١) فيما يتعلق بهذه الدلالة المرتبطة بالأسماء المنتهية بمقطع مأخوذ من كلمة "هيبوس" *hippos*,

obeikan.com

أيّ: فَرَس؛ انظر: Aristophanes, *Clouds*, ٦٩-٧٢؛ حيث تدور مناقشة بين رجل وزوجته حول الاسم الذي يريدان إطلاقه على طفلهما, والذى تريد الزوجة أن ينتهى بهـذا المقطـع, وأن يكون "كسانثيبوس" Xanthippus أو "خايريبوس" Chairippos. وفيما يتعلق باهتمام المسعودى بأن يذكر معانى أسماء بعض اليونانيين التى يعرفها, انظر, على سبيل المثـال, تعليقـه علـى أن معنى اسم أرسطاطاليس هو "تام الفضيلة, لأن أرسطو هـو الفـضيلة, وطـاليس تـام؛ وتفـسير "نيقوماخوس" هو: قاهر الخصم؛" فى: التنبيه والإشراف, ص ١١٦ .

(٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر, الجزء الأول, ص ٢٨٧ .

(٢٣) المصدر ذاته, ص ٢٨٧, الحاشية رقم ٤, حيث يلحظ محقق النص, محمد محيى الـدين عبـد الحميد, أن "ملبص" هى قراءة المخطوط (ب).

(٢٤) مع ما يسببه ذلك من مشكلات فى بعض الأحيان عند محاولة كتابة الأسماء الأجنبيـة؛ انظـر الصيغتين اللتين تشيران إلى كليوباترا, حيث يشير إليها المسعودى فى "مروج الـذهب ومعـادن الجوهر," ص ٣٠٤, على أنها: قلبطرة؛ وفى "التنبيه والإشراف," ص ١١٥, على أنها: قلوبطرة.

(٢٥) التنبيه والإشراف, ص ١١٦ .

(٢٦) وتتبين من هذه الصيغة بعض الفروق الصوتية بين اللغتين العربية واليونانية, والتى كـان مـن نتيجتها إضافة حرف الألف أمام الحرفين الساكنين المتتاليين فى بداية الاسم فى صـيغته العربيـة (كما فى حالة اسم اسبانيا, على سبيل المثال). بالإضافة إلى ذلك هناك تقديم الياء على الميم فـى الصيغة الأولى, وتفخيم الكاف (تحت تأثير اللام التى أعقبتها) لتصبح قافاً فى كلمة القلوذى (التى هى تعريب كلمة كلاوديوس), وكذلك تفخيمها هى والتاء فى اسم "قلوبطرة"؛ وتحويل الـدال إلـى ذال, والذى ربما يعكس تطوراً فى نطق الحروف اليونانية ذاتها فى تلك الأونة.

(٢٧) كان بطلميوس كلاوديوس عالماً بالفلك ورياضياً وجغرافياً, واشتهر عند العرب بكتابه المجسطى, وعاش فى القرن الثانى الميلادى, كما أن هناك بعض الشروح اليونانية القديمة التى وصلت إلينـا لبعض أعماله. انظر: *The Oxford Classical Dictionary*, ٢n ed., *s.v.* Ptolemy (٤) [G. J. Toomer].

(٢٨) التنبيه والإشراف, صـفحات ٢٧, ٣١, ٣٩, ٤٠, ٤١, ٤٣, ٤٦, ٥٧, ٦٢, ٧٥, ٧٧؛ وانظـر كذلك: د. ل. أوليرى, مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب, ترجمة الدكتور تمام حسن, القـاهرة, ٢٠٠٢م, صفحات ٢٠٢, و ٢٠٨-٢٠٩؛ وأيضاً: Gutas, *op. cit.*, ١٤٨

(٢٩) وهو ثيون السكندرى Theon of Alexandria, كان رياضياً وعالماً بالفلك, عاش فى القـرن الرابع الميلادى, وكتب بعض الشروح والتفسيرات لأعمال بطلميوس, وعن طريقه وصلت أعمال هذا الباحث وقوائمه الفلكية إلى العرب, راجع: *The Oxford Classical Dictionary*, ٢nd ed., *s. v.* Theon of Alexandria, [G. J. Toomer].

(٣٠) التنبيه والإشراف, ص ٥٧: "ووجد ابطلميوس على ما عبر عنه ثـاون الاسـكندرانى طـول الإسكندرية من المشرق مائة وتسع عشرة درجة ونـصفاً." وأيـضاً ص ١١٣؛ انظـر كـذلك: Dunlop, *op. cit.*, ١٠٨-١٠٩

(٣١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٢٩

(٣٢) عن تقييم جيد ومختصر لهذا الدور، انظر: U. Wilcken, *Alexander the Great,* trans. by G. C. Richards, New York, ١٩٦٧, ٢٨-٢٩ حيث يقول: "إن فيليب يبدو أمامنا بوصفه أحد القادة العظام فى تاريخ العالم، ليس فقط لأنه وضع الأساس لأعمال ابنه الإسكندر الذى فاقه عظمة، ولكن أيضاً لكونه رجلاً ذا أهداف وإنجازات بعيدة المنال". وكذلك (ص ٤٩) حيث يلحظ أن أوروبا لم تنجب حتى وقت فيليب (منتصف القرن الرابع قبل الميلاد) رجلاً مثله.

(٣٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٧، التنبيه والإشراف، ص ١١٣؛ على الترتيب.

(٣٤) انظر: P. Green, *Alexander of Macedon ٣٥٦-٣٢٣: A Historical Biography,* Berkeley, ١٩٩١, ١, ١٠٦-١٠٧

(٣٥) وكذلك: M. Renault, *The Nature of Alexander,* New York, ١٩٧٥, ٨-١٦; N. T. Homayoun, "Alexander in Iranian Literature and Myths," in *Alexander the Great: From Macedonia to the Oikoumene,* International Congress, Veria ٢٧-٣١ / ٥ / ١٩٩٨, Piraeus, ١٩٩٩, ٢١٩-٢٢٣؛ وأيضاً: Green, *op. cit.,* ٤٧٨-٤٨١

(٣٦) فرانز روزنثال، المرجع السابق، صفحات ١٠٦-١٠٧ .

(٣٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٨ .

(٣٨) إن مناقشة أمر كون الإسكندر ذا القرنين تخرج بنا بالضرورة عن حدود هذه المقالة، علماً بأن القارئ يجد عرضاً وافياً للمصادر القديمة والدراسات الحديثة التى تناولت لهذا الموضوع فى: محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الذى يرفض (صفحات ٣٥٣-٣٥٥)، على عكس ما يرى كاتب هذه المقالة، فكرة كون الإسكندر ذو القرنين، وإن كان لا يقدم شخصية تاريخية أخرى بديلة.

(٣٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٧، حيث يضيف أنه أشار إلى هذه الأحداث بالتفصيل فى مؤلفه الذى يحمل عنوان "الكتاب الأوسط، وحيث يقول: "إن اليونانيين لما أن سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب، وبذل السيف، كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج إلى فارس، وكان خراجهم بيضاً من ذهب عدداً معلوماً ووزناً مفهوماً وضريبة محصورة، فلما كان من أمر الإسكندر بن فيلبس. . . ما كان من ظهوره وهمته، بعث إليه داريوس ملك فارس، وهو دارا بن دارا، يطالبه بما جرى من الرسم، فبعث إليه الإسكندر: إنى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب، وأكلتها، فكان من حروبهم ما دعا الإسكندر إلى الخروج إلى أرض الشام والعراق، فاصطلم من كان بها من الملوك، وقتل دارا ابن دارا ملك الفرس "

(٤٠) تشكل هذه الحروب موضوع كتاب المؤرخ اليونانى هيرودوتوس، الذى يحمل اسم *Historiae* والذى يبدو أن المسعودى لم يعرف به. انظر كذلك الدراسة المستفيضة لهذه الحروب فى: .A

R. Burn, *Persia and the Greeks: The Defense of the West ٥٤٦-٤٧٨*, *New York*, ١٩٦٢, esp. ١٩٣ ff.

(٤١) يوضح المسعودى (مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٢٨) أنه كان مرزبان العراق والمغرب وأنه احتل بلاد الشام وفتح بيت المقدس، ويتضح من وصفه هناك أنه يعنى الملك البابلىّ نبوخذ نصر الذى قام بكافة هذه الأعمال والذى عاش قبل حوالى مائة عام من الحروب الفارسية؛ انظر الدكتور أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، الطبعة الثانية، بيروت، ب.ت.، صفحات ٢٩١، ٣٨٥ .

(٤٢) هذه الحملات هى موضوع كتاب المؤرخ اليونانىّ أريانوس Arrianus، الذى يحمل عنوان "حملات الإسكندر" *Anabasis Alexandri* ، والذى لم يعرف به المسعودى أيضاً. انظر: فرانز روزنثال، المرجع السابق، ١٠٦-١٠٧: "لم يصل إلى العرب قط أى من الكتب الكلاسيكية فى التاريخ الإغريقى."

(٤٣) انظر: Wilcken, *op. cit.*, ٤٧-٤٨ حيث يلحظ كيفية صياغة أهداف الحرب ضد الفرس فى ضوء معطيات السياسة الداخلية لبلاد اليونان، وفى ضوء أهداف فيليب الخاصة؛ وراجع كذلك: لطفى عبد الوهاب يحيى، دراسات فى العصر الهلنستى: أبعاد العصر الهلنستىّ ودولة البطالمة فى مصر، الإسكندرية، ١٩٩٧، صفحات ٦٦-٦٧ .

(٤٤) Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٣. ٢٢ حيث يقول: "لم يهجر بيسّوس وأصدقاؤه. . . داريوس . . . فى البداية، ولكن عندما اقترب منهم الإسكندر، طرحه نابارزانيس وبارسايينتيس أرضاً وتركاه . . . وكان الجرح مميتاً، وتوفى داريوس بعده بوقت قصير قبل أن يستطيع الإسكندر رؤيته." علماً بأن أريانوس (١: ١) اعتمد كما يذكر هو ذاته على كتابات بطلميوس وأريستوبولوس اللذين كانا من قادة الإسكندر واللذين اشتركا معه فى حملاته. راجع كذلك: Green, *op. cit.*, ٣٢٦-٧

(٤٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٧، الجزء الأول، صفحات ٥٧٣-٥٧٧ .

(٤٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٨-٢٨٩؛ وانظر كذلك: ص ٢٣٢ حيث يضيف أن دارا كان قد قضى عندئذ ثلاثين عاماً فى الحكم.

(٤٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٩١؛ علماً بأن المصادر اليونانية تشير إليها باسم روكسانا؛ انظر: Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٤. ١٩-٢٠

(٤٨) أسس الإسكندر فى إيران والهند ما يزيد عن عشر مدن، ومنها فى الوقت الحالى كابول وقندهار ومرو وسمرقند؛ بالنسبة لمواقع هذه المدن انظر الخريطة الموجودة فى: Arrian, *The Campaigns of Alexander*, trans. by A. De Sélincourt, revised with a new introduction and notes by J. R. Hamilton, New York, ١٩٧١, ٤١٦-٧ وسيشار إلى هذا المرجع بعد ذلك بوصفه: De Sélincourt and Hamilton . كذلك فإن المسعودى يشير فى موضع آخر (مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٧٠-٣٧٤) إلى

بناء الإسكندرية المعروفة فى مصر بأسلوب يخلط بن الواقع والأسطورة.

(٤٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٨-٢٨٩ ؛ حيث يقول: "وسار الإسكندر بعد أن ملك بلاد فارس . . . إلى أرض السند والهند، ووطئ ملوكها، وحُملت إليه الهدايا والخراج، وحاربه ملكها فور، وكان أعظم ملوك الهند، وكان له معه حروب، وقتله الإسكندر مبارزة. ثم سار الإسكندر نحو بلاد الصين والتبت؛ فدانت له الملوك وحملت إليه الهدايا والضرائب، وسار فى مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من ممالك، ورتب ببلاد التبت خلقاً من رجاله وكذلك ببلاد الصين."

(٥٠) من الملاحظ أن الثورات التى حدثت بعد وفاة الإسكندر كانت فى بلاد اليونان ذاتها، وقام بعضها أيضاً اليونانيون الذين وطنهم فى الأماكن المفتوحة، انظر: W. W. Tarn, *Alexander the Great*, Boston, ١٩٥٩, ١٤٢-٣

(٥١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٨٠، و ص ٢٩٣: "لما قتل الإسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند..."، وأيضاً: Green, *op. cit.*, ٣٩٠-٤٠١

(٥٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٩ .

(٥٣) De Sélincourt and Hamilton, *op. cit.*, ٣٩٥ n. ١١٣ حيث يعلقان على ما يذكره أريانوس (٧: ٢٨) من أن وفاته كانت فى الأوليمبياد الرابع عشر بعد المائة، فى العام الذى كان فيه هيجيسياس Hegesias حاكماً يؤرخ العام باسمه فى أثينا.

(٥٤) انظر، على سبيل المثال، تفاصيل أحداث مؤتمر بابل الذى عقد عقب وفاة الإسكندر، ودور بطلميوس فى هذا المؤتمر بالمقارنة بأدوار بقية القادة، فى: الدكتور سيد أحمد على الناصرى، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم فى العصر الهلينستى، القاهرة، ١٩٩٢، صفحات ٩٥-٩٧؛ وكذلك: W. M. Ellis, *Ptolemy of Egypt*, London, ١٩٩٤, ٢٤-٢٧

(٥٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٨٩، وكذلك ص ٢٩٢ .

(٥٦) المصدر ذاته، ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٥٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٢٩٢ . ويحدد المسعودى تاريخ الكتابة بأنه سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة.

(٥٨) Ellis, *op. cit.*, ٣؛ علماً بأننى لا أعلم من أين أتى المسعودى بهذا الاسم الذى أطلقه على والد بطلميوس.

(٥٩) Ellis, *ibid.*, ٢٩, ٣٣

(٦٠) P. M. Fraser, *Ptolemaic Alexandria*, vol. I, Oxford, ١٩٧٢, ١٢٣ with note ٢٥٧ where he refers to the ancient testimonia.

(٦١) انظر على سبيل المثال: Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٢٤-٢٨; Plutarch, *Life of Alexander*, ٧٤-٧٧

(٦٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٩٣-٣٠٠، مع الحاشية رقم ١ على ص ٢٩٣ .

o p e i k a n . c o m

(٦٣) المصدر ذاته، ص ٣٠٠ .

(٦٤) المصدر ذاته، ص ٢٨٩؛ حيث يلحظ أيضاً أن "أرسطوطاليس" كان "حكيم اليونانيين".

(٦٥) Plutarch, *Life of Alexander*, ٦٥-٦٤؛ وانظـــر كـــذلك: Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٧. ٢-٤؛ الذى يذكر هنالك أنه لطالما أعجب بقصة الحكماء الهنــود الـــذين قابـــل الإسكندر بعضاً منهم، ويضيف بعد ذلك أن أى تاريخ للإسكندر لن يكون كاملاً دون الإشارة إلـــى ما دار بين الإسكندر وفيلسوف منهم يدعى كالانوس Calanos.

(٦٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٩١-٢٩٢؛ والتنبيه والإشراف، ص ٩٨: "وغلب الإسكندر ملكهم ست سنين."

(٦٧) التنبيه والإشراف، ص ١١٤ .

(٦٨) Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٧. ٢٨

(٦٩) Tarn, *op. cit.*, ١

(٧٠) De Sélincourt and Hamitlon, *op. cit.*, ١٨٤ n. ٥٤; ٤٠٤

(٧١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٣٠٧؛ وكذلك ص ٣٠٩: "وقد قدمنا أن كـــل ملك كان يلى مقدونية والإسكندرية يسمى بطليموس."

(٧٢) المصدر ذاته، ص ٣٠٢؛ مع الحاشية رقم ٦ حيث توجد قراءة أخرى للاسم: أنطيخش.

(٧٣) المصدر ذاته، ص ٣٠٧؛ وعلى ما يبدو فإنه رجع هنا إلى قائمة بطلميوس الذى بدأها بالملـــك نبوخذ نصّر، المصدر ذاته، ص ٢٢٩.

(٧٤) التنبيه والإشراف، ص ١١٣؛ راجع كذلك الحاشية السابقة.

(٧٥) الدكتور إبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمـــة، الجـــزء الأول، القـــاهرة، ١٩٨٤، صفحات ٢٢٨-٢٣١، مع الحاشية رقم ٢ على صفحات ٢٣٢٠-٢٣١ .

(٧٦) G. Hölbl, *A History of the Ptolemaic Empire*, London, ٢٠٠١, ٢٣٨, ٢٤٧

(٧٧) Ellis, *op. cit.*, ٢٨, ٤٦, ٦٠

(٧٨) الدكتور مصطفى العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، القـــاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٤ .

(٧٩) المرجع ذاته، صفحات ١٩، ٢٢؛ وكذلك Arrianus, *Anabasis Alexandri*, ٣. ١-٦.

(٨٠) انظر: Hölbl, *op. cit.*, ٢٤٨؛ الذى يؤرخ لهذا الحدث بالأول من أغسطس.

(٨١) والتى لا يمكن أن تشتمل بأية حال على فيليب والد الإسكندر الذى توفى عام ٣٣٦ ق.م، قبل أن يبدأ الأخير حملاته عام ٣٣٤ ق.م.

(٨٢) الذى هو ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً، وليس، كما هو واضح، المجموع الفعلىّ للسنوات التـــى يذكرها أمام كل منهم، والتى تتصف بعدم الدقة.

(٨٣) S. B. Pomeroy, *Women in Hellenistic Egypt From Alexander to Cleopatra*, New York, ١٩٨٤, ٢٣ التى تلحظ أيضاً تكرار بعض أسماء الملكات، وترى أن تلك الظاهرة كانت رمزاً من رموز قوة الأسرة ومكانتها.

openkani.com

(٨٤) مع اعتبار أن لقب "الصانع" ولقب "الأريب" يقابلان "الخيّر". راجع الفقرة التالية.

(٨٥) مع اعتبار أن لقب "الصانع" ولقب "الإسكندرانى" يقابلان "الخيّر" و "الإسكندر". راجع الفقرة التالية. علماً بأنه يمكن زيادة هذا العدد إذا ما اعتبرنا لقب "هيفلوس" تحريفاً لكلمة "هو أديلفوس" (*ho adelphos*) التى تشكل (بدون الآداة) الجزء الأخير من لقب بطلميوس الثانى.

(٨٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٣٠٣؛ باستثناء بطبيعة الحال تقديم حرف السين على حرف الكاف.

(٨٧) المصدر ذاته، ص ١١٦؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٣٠٣؛ وقارن سليمان السُويكت، المرجع السابق، ص ٣٢٧، الحاشية رقم ١، حيث يرى على أساس هذه الملاحظة أن معلومات المسعودى عن اليونانيين فى التنبيه والإشراف "تحمل طابعاً تاريخياً صحيحاً أكثر منه فى المروج." وهو الأمر الذى لا يمكن التعويل عليه على أساس نتائج هذه الدراسة، وبخاصة فيما يتعلق بسنوات حكم الملوك البطالمة وألقابهم.

(٨٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠١-٣٠٣ .

(٨٩) المصدر ذاته، الجزء الأول، ص ٣٠٢ . علماً بأن هذه العبارة يمكن أن تشير إلى الحروب السورية الأولى التى دارت فى بداية عهده وإلى مجيء اليهود بأعداد كبيرة للإقامة فى الإسكندرية؛ انظر: Hölbl, *op. cit.*, ٤٠; ١٨٩-١٩٠ ؛ وراجع التنبيه والإشراف، ص ١١٤، وكذلك: مصطفى العبادى، المرجع السابق، صفحات ١١٢-١١٣ .

(٩٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٣٠٣ ؛ وراجع: لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، صفحات ١٤٣-١٤٥. وكان هذا لقب أنتيوخوس الثالث الشعبىّ، لأن لقبه الرسمىّ كان "ميجالوس"، أىّ: العظيم. وقد حصل على لقب الإسكندروس بعد حملاته على الشرق.

(٩١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص ٣٠٤؛ وقارن كذلك: التنبيه والإشراف، صفحات ١١٥-١١٦، حيث يقتصر على وصفها بأنها "حكيمة".

(٩٢) انظر: Plutarch, *Life of Antony*, ٢٧,٣، الذى يلحظ ثقافتها ومعرفتها وأنها كانت أول من اهتم بتعلم لغة أهل البلاد، وآخرهم.

(٩٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠٤-٣٠٥؛ علماً بأن أوكتافيانوس كان ابناً ليوليوس قيصر بالتبنى.

(٩٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠٥-٣٠٦؛ علماً بأن حديثه هنا يشبه حديثه عن الإسكندر. قارن: Plutarch, *Life of Antony*, ٨٦

(٩٥) المصدر ذاته، الجزء الأول، ص ٣٠٦

(٩٦) قارن: فرانز روزنثال، المرجع السابق، ص ١٠٦؛ الذى يلحظ أن "الحكميات" بشكل عام شكلت جزءاً مهماً من السير والتراجم عند كُتّاب التاريخ العرب.

(٩٧) Gutas, *op. cit.*, ١

(٩٨) على حسنى الخربوطلى، المرجع السابق، ص ٢٤: "ألم المسعودى بألوان مختلفة من العلوم

والثقافات, فقد درس العلوم اللغوية والأدبية والفقهية, كما ألم بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة, وتعلم كثيراً من اللغات, كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسيريانية؛ وكذلك لجنة تحقيق التراث, "التنبيه والإشراف," ص ٦: "إن أقل ما يقال بالمسعودى أنه: عالم, فلكى, حاسب, جغرافى, فقيه, محدث, جدلى, نظار, ديانى, مؤرخ, ناسب, أخبارى, فيلسوف, أديب, راوية. وأنه كان مُلمّا بعدة لغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية." (لقد وضعت خطا تحت الكلمات المقتبسة لتوضيح الفكرة).

• • •